



من دون مسؤولية... ولا مسؤولين

تشاء وقائع الحرب اللبنانية ان تنزامن الى الابد، ولو بفارق اسبوعين، ذكرى اندلاعها "الرسمي" في ١٣ نيسان ١٩٧٥، وذكرى انتهائها، "الرسمي" ايضاً، في ٣٠ نيسان ١٩٩١، وهو، للتذكير، اليوم الذي انتهت فيه مهلة حل الميليشيات وتكرست استعادة الدولة "احتكار العنف الشرعي"، كما يقال في العلوم السياسية لتحديد اول معايير قيام الدولة، حتى لو كان السلاح الشرعي بالاعارة. وعليه، فان حلول ذكرى الحرب ليس فقط مناسبة دائمة للاتعاض من دروسها والتأمل في اسباب نشوبها، بل وفي المقام الاول، دعوة لا تقل ديمومة لتقويم مرحلة ما بعد الحرب، وخصوصاً عندما تشارف تلك المرحلة على نهاية عقدها الاول. ولئن تكن حال لبنان سيئة في هاتين الذكريتين، فان التقويم المطلوب يستحيل محاكمة.

ولكن محاكمة من لمن؟ من الواضح ان ثمة منطقيين يتواجهان اليوم في هذا الصدد. اهل السلطة، المنظورة وغير المنظورة، ومن يقف وراءهم، يوجهون اصابع الاتهام الى... المجتمع اللبناني! فهو عندهم مضروب حتى النخاع بوبال التجزئة وداء اللامسؤولية. وان بقي شك عند احد منه، فهم يعرفون كيف يبذّونه. الوصفة عبقرية، لنعترف بذلك: يبدأ التحويل من عكار (عذراً منها مرة اخرى) بياناً بعد بيان، ثم يكبر في طرابلس (والف عذر منها) شائعة بعد شائعة، فيتجسد في بيروت (ولا عذر لها) سواطير وعصياً. وفي اللحظة (غير) المناسبة، يتوارى اهل السلطة ويسكتون عن السياسة في لقائهم الدوري.

كان يسمّى مجلس الوزراء، ان لم تخنّا الذاكرة. وحتى تكتمل الوصفة، لا يتوارون وحدهم، بل تشعر ان الذين يقفون في ظلهم انتقلوا بدورهم الى ظلال اخرى، يتعقبون هذا ويدفعون ذلك، فلا تعود تسمع في كل زقاق الا صرير الحقد وانين اليأس، ويصح عند ذلك القول ان الحق على لبنان، شَعْباً وشُعْباً! ان يكون المجتمع اللبناني لا يزال في حاجة الى التعافي فأمر لا يحتمل النقاش. ان تكون مصالحته مع ذاته معلقة تنتظر مصالحة مكوناته مع بعضها البعض، فهذا ما لا ينكره عاقل. ان تتضح منه عصبية الطوائف ربما اكثر مما قبل الحرب، فهذا ما يؤرق كل من اکتوى وعيه بالطائفية. لكن كل الامراض والعوارض التي تصيب شعباً، بالافتراض ان الشعب هو المريض، من يُسأل عنها؟ هل تأتي بالفطرة، كما يريد ان يقنعنا اهل السلطة؟ ام ينقلها حليب الامهات؟ ام تُسكب مع مياه الشفة؟ لنسلم جدلاً ان الامر كما يصورونه. لماذا اذن هذه الجلبة؟ لماذا كل هذه "الغلبة" في سياسة شؤون شعب يراه المولى عليه فاسداً مفسداً؟ لماذا التهافت على المراكز العامة، السياسية والادارية والعسكرية؟

بل لماذا ادعاء النطق باسم هذا الشعب؟ ثم اذا كان المجتمع اللبناني على هذا القدر من الخراب، فكيف نصدق ان بعضه نجا بروحه فصار يقدر على الترفع؟ هراء بهراء. فقبل ان يتجرأ احد ويحكم بالاعدام على مجتمع خرج منه ليصبح الحاكم المتحكم في خرابه، ولو بالوكالة عن السلطة الفعلية الواقفة وراء السلطات كلها ووراء من يقفون وراءها، قبل ان يغسل البُنطيون ايديهم من دم كل الصديقين، لماذا لا نحاول المقاربة الاخرى، وقل المحاكمة الاخرى؟ هنا الادلة اكثر وضوحاً، والحاجة تنتفي الى سبر النيات، كما في الفرضية الاولى. سجل الصحف كافٍ وحده لتبيان مدى



التخريب وتعيين المسؤولين في مفاقمتهم. مسؤوليات؟ كم تبدو الكلمة غريبة في بلد ابرز ما انتجه السلم الاهلي فيه هو انعدام المسؤولية. ليس فقط مسؤولية الحرب، بل ايضاً وخصوصاً مسؤولية الخروج من منطق الحرب وصون السلام.

تلك هي من دون شك واحدة من اخطر التهم يمكن سوقها في اطار هذه المحاكمة ضد الذين تعاقبوا على السلطة (ووراء السلطة) منذ عام ١٩٩١ وحتى هذه الساعة. ولعلها من الناحية الاخلاقية والسياسية في أن واحد اخطر حتى من تهم التشهير بالشعب والتأمر لتصويره قاصراً تبريراً لبقاء الوصاية السورية على دولته "شرعية وضرورية"، غير موقنة طبعاً، وفي اي حال "مشكورة". بل لعلها اكثر فداحة في الامد الطويل حتى من الانقلاب على اتفاق الطائف والتمادي في الاعتداء على الدستور، والتناول على مقومات البلاد وعوامل ازدهارها، وفي مقدمها حريات التفكير والتعبير والتعليم والتنقل والتخابر وغداً، من يدري؟ عيش الحياة اليومية. عشر سنين من السلام، عشر سنين من اللامسؤولية! ولم العجب بعد ذلك ان غاب المسؤولون او عُيِّبوا؟

سمير قصير



Id-Reference	01-Pr-000453	
Media	(Support)	HC
Title		من دون مسؤولية... ولا مسؤولين
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠١/٤/١٣ 13/4/2001
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	
	Locations	لبنان
	Dates	٣٠ نيسان ١٩٩١ – ١٣ نيسان ١٩٧٥ 13:04:1975, 30:04:1991
	Themes	لبنان – حرب لبنان – ذكرى – مجتمع لبناني – طاقم حاكم لبناني – دستور – حرية تعبير – مسؤولون لبنانيون – طائفية – شعب مريض – وصاية سورية – نظام – سلطة لبنانية – اتفاق طائف – حرب لبنانية – ١٣ نيسان ٧٥ – مرحلة ما بعد حرب.
Subject		